لا يفرقون بينها وبين غيرها. بناء على هذا وعلى العلم بأن رئيس الحكومة البريطانية صرح بأن دولته لا تقبل الانتداب لمساعدة سورية — لان ما بينها وبين فرنسة من عهد وميثاق يحول دون ذلك وما هو بالذي يجعل قصاصة ورق — وضع المؤتمر القرار الذي قدمه الى لجنة الاستفتاء وسنذكره بنصه في مكان آخر من المنار

اذا لم يكن جميع أعضاء المؤتمر الذي قرر هذا منتخبين من الامة لينوبوا عنها فيه فقد جعلهم في معنى المنتخبين موافقة أكثر من استفتتهم اللجنة لهم كما شرحته الجرائد السورية في بيانها لاعمال اللجنة في البلاد المختلفة. فجاء ما تقدم كله مصداقا لما كنا قلناه مرارا لبعض الباحثين منا من الاجانب والوطنيين ، وهو ان السواد الاعظم في سورية يطالب الاستقلال التام المطلق — ولله الحمد من قبل ومن بعد

السيد الزهراوي

تتمة ترجمته بقلم صديقه الشيخ أحمد تيمان الحمصي

في أول سنة من مبعوثيته وقعت حادثة ٣١ مارت الشهيرة فحوصر المجلس من قبل العسكر بحجة الارتجاع عن الدستور وهددوا المبعوثين بالرصاص حتى انه قتل أحدهم محمد بك ارسلان مبعوث اللاذقية رميا بالرصاص في باب المجلس ومنهم من رمى نفسه من احدى النوافذ العالية حتى تحطم خوفا على نفسه من القتل وفر كثير من المبعوثين حفظا لحياتهم وبقي المترجم رحمه الله تعالى مع بضعة أشخاص ثابتي الجأش غير مبالين بتلك القوة الهائلة التي تهددهم وهم يخابرون المراكز بالتلفون ويذكرون الواقعة وما هم فيه حتى كادت تلك القوة ان تقضي على بقية المبعوثين ثم خرج المترجم يخترق صفوف العساكر بلا اكتراث حتى وصل الى منزله وانفض الجمع

هذا الثبات في مثل هذا الموقف الحرج مما يدل على شجاعته وقوة يقينه

على أثر هذه الحادثة التي شاع خبرها حتى بلغ الروملي مكبراً زحف محمود شوكت باشا بجيوشه ليضرب الآستانة لحماية الدستور وليكل بالارتجاعيين وينتقم ممن أثاروا هذه الفتنة فأرسلت الحكومة اذ ذاك هيئة مؤلفة من الاعيان والمبعوثين

لمقابلة الباشا وابلاغه حقيقة الحال فكان صاحب الترجمة من أعضاء تلك الهيئة الموفرة فاستقبلوه في (ياستهانوس) من ضواحي الآستانة وأوقفوه على جلية الخبر الشائع واطفوه في سمه حتى سكنت غصبه وسكن جأشه ودخل بغير ازعاج لاحد

وفي أثناء تلك المدة — أعني لدورة الاولى لمجلس المبعوثين — أصدر المترجم جريدة عربية في الآستانة سماها (الحضارة) بشركة شاكر بك الحنبلي ثم انسحب هذا الاخير منها إذ تعين متصرفا للواء عكا بعد انذار الحكومة له

وكان السبب في انشاء تلك الجريدة أنه لما بلغ الاتحاديون ما بلغوا من الاثرة والاستبداد وتسميم الافكار بالخرائد التي أنشأوها لبث أفكارهم السوء وتصويرهم الحال بصورة الحقائق تأسس الحزب الحر المعتدل لمعارضتهم وكان معظم مؤسسيه من مبعوثي العرب وحزب الائتلاف وكان معظم مؤسسيه من الترك ثم امتزج الحزبان باسم حزب الحرية والائتلاف وكان المترجم من مؤسسي الحزبين المذكورين لمعارضة حزب الاتحاد والترقي فأصدر جريدته (الحضارة) باللغة العربية للمحافظة على مبدأه الثابت وهو الاعتدال المحض حتى كان رفاقه يلومونه لشدة هذا الاعتدال والتروي وحتى أن كبار الاتحاديين كانوا يعجبون من اعتداله مع معارضته لرأيهم وكان كثير منهم يقول ليت جميع المعارضين مثل هذا الحر المعتدل

« والفضل ما شهدت به الاعداء »

وفي أثناء تلك المدة أيضا وقع اضطراب واختلال في الروملي فعينت الحكومة يومئذ لجنة من الاعيان والمبعوثين للكشف عن أحوال تلك البلاد وكان المترجم رحمه الله تعالى من أعضاء تلك اللجنة

وفي أثناء مدته نشبت الحرب في طرابلس الغرب فصعد المترجم منبر الخطابة في المجلس وهيج الخواطر وحرك السواكن ثم أجهش في البكاء فقال له بعض الحاضرين من المبعوثين لا تبك فاننا سنستردها فقال : انا لا أبكي على طرابلس الغرب ولكنني أبكي على الروملي وسورية والحجاز والعراق

من تأمل هذه الجملة الجوابية منه يعلم أنه قد لمح من وراء حجب الغيب ما سيكون في المستقبل استنباطا حدسيا من سوء تدبير من بيدهم الحل والعقد ، وقد

اتفق مثل هذا لغيره من أصحاب الرؤية والحدس ، فوقع ما توقعوه وفقه الامر من قبل ومن بعد

في مدة اقامته في الآستانة سواء كان مبعوثا أو لم يكن كان بيته مجمع الفضلاء والادباء على اختلاف لغاتهم ، والكبراء مع تفاوت رتبهم ، يستمدون من آرائه السديدة ، عرف هذا من شاهده بالعيان حتى كانت جلساته على مراتب لكل فريق وقت يقضيه فيأتي فريق آخر حتى تنقضي الساعة السابعة بل الثامنة من الليل

وكان مع كل هذا لا يأخذه ملل ولا ضجر ولا سآمة مما يدل على سعة صدره وحسن مجلسه

في أواخر هذه الدورة للمجلس حصلت مناقشة بشأن المادة ٣٥ من القانون الاساسي ووقع الخلاف الشديد حتى آل الامر الى فض المجلس وتجديد الانتخاب ثانية فعاد المترجم رحمه الله تعالى الى وطنه وزيارة أهله وذويه ، فأوحت الحكومة الاتحادية الى جميع المراكز وأوعزت للحكومات أن يكون انتخاب المبعوثين ممن لا يخالف رأيهم ، وكانت تواصل التلغرافات والمندوبين للمراكز بالوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، لهذه الاحوال وشدة الضغط ما تمكن الاهالي من انتخاب المترجم لان حريتهم سلبت حتى امتنع كثير من التصويت

على أثر ذلك سافر الى الاستانة للقيام بأشغال الجريدة فانعقد المجلس من مبعوثين صار تعيينهم من قبل الاتحاديين في الباطن وان كان في الظاهر بالانتخاب

ثم تغلب حزب الائتلاف على حزب الاتحاد وتشكلت الوزارة ففضوا ذلك المجلس الجديد فعاد المترجم الى وطنه فوقعت حرب البلقان فصرف النظر عن الانتخاب الى أن تضع الحرب أوزارها

في ذلك الاوان سافر الى مصر فانتخب من حزب اللامركزية المؤلف هناك رئيسا للمؤتمر الذي انعقد في باريس لاجل مطالبة الحكومة التركية باصلاح بلاد العرب واعطاء هذه الامة المهضومة حقها الة نوبي المبهضوم وقد طبعت مقررات المؤتمر والخطاب التي ألقيت فيه فلا حاجة الى بيان ذلك

وفي اثناء اقامته في باريس كان محل اعجاب الجميع في اعتداله اذا طالعت تلك المقررات المطبوعة وتلوت ما فاه به رحمه الله حكمت له بذلك الاعتدال وبأن ذلك الاعجاب به كان بحق. وحسبك شهادة لاحاب فان جريدتي المانان والطان — وهما من أكبر الصحف الفرنسية واشهرها — قالتا كما نقلته الجرائد المصرية والسورية في ذلك الحين « ان السيد عبد الحميد افندي الزهراوي كان للمؤتمر بمثابة الدماغ من الجسد » وذلك بمناسبة ترؤسه للمؤتمر وحسن ادارته له

وكان مدة اقامته في باريس موضع التبجيل والاحترام، واجتمع بالموسيو بيشون ناظر خارجية فرنسة في مقر النظارة فأعجب به غاية الاعجاب وانزله منزلة الاكرام

بعد أتمام وظيفة المؤتمر انفض أعضاؤه وبقي المترجم رحمه الله تعالى هناك مع نفر من رفاقه مطالبين بالاصلاح العربي فاصطرت الحكومة الاتحادية التحيل على جلبهم فأرسلت من قبلها مدحت شكري ابن الكاتب العمومي لمركز الاتحاديين والمرحوم عبد الكريم الخليل للسعي لارضائهم ورجاهم خدعة ومكرا منها فوافقا باطنية وما تالا غاية ولا مقصدا ، فأعادوهما ثانية وادنوا لهما بوعد جامعة المؤتمر باجابتهم الى مايلزم من الاصلاحات للبلاد العربية فوعدا وانسما الايمان على ذلك فحضر عندها المترجم الى الاستانة اعتمادا على ايمانهم الكاذبة المبنية على الخدع والمكر وعين عضوا في مجلس الاعيان ليشرف على انجاز وعدهم ، فبقي ينتظر تلك المواعيد الفارغة (وناهيك بمهارة الاتراك بالمواعيد) الى ان نشبت الحرب العامة سوء تدبير الرؤساء الذين أهلكوا الحرث والنسل وصيروا ذلك الملك العظيم من ايديهم وكان من لوازم ذلك اعلان الادارة العرفية في البلاد ، فجعل جمال باشا قائدا عاما في سورية بصلاحية واسعة لتنفيذ أوامر الجمعية الخادعة بالاصلاح الذي كانت تنويه وهو الانتقام من متنوري أبناء العرب ونابغيهم واتخذوا الحرب فرصة لتنفيذ ما تكنه صدورهم من الضغائن على هذا الجنس الشريف

طلب المترجم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال منه عن شيء وذلك ليلة السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هجرية و٢٣ نيسان

سنه ٩١٦ ميلادية وكان لسان حاله يقول

يا جزع لخ والك واندب جثة خلقت ... من يوم « قالوا بلى » للضنك والمحن
وحي أهلا وجيرانا وآونة ... حي الرفاق وحي سائر الوطن
حبا بصالحهم أصبحت مدينتهم ... ليقطفوا ثمرا من راحتي جفي

﴿ صفاته رحمه الله ﴾

كان مستجمعا لصفات الكمال . وقورا ذا ذهن حاد وفكرة راسمة وذاكرة عجيبة يتوقد ذكاء وملامحه أكبر دليل على ذلك . واسع الصدر سليمه ، لين الجانب ، بطيء الغضب لا يقابل أحدا بمكروه ، لا يعل من جليسه كيف ما كان ولا جليسه من محادثه يعاشر كل انسان على قدر علمه ، أكثر أحاديثه في مجالسه ما يعود بالفائدة لا يستغيب احدا ولا يحب أن يغتاب أحد بحضوره ، قليل الكلام الفارغ ، كثير التفكر ، أبي النفس ، شجاعا شديد الصبر على الشدائد ، قوي اليقين بربه تعالى ، كريم الخلق ، جميل الخلق والهيئة ، يحبه من يراه لاول وهلة ، عفيف النفس ، لا يبالي بزخارف الدنيا ، بعيدا عن التكلف ، شديد البحث والتدقيق في المسائل ، يتتبع الادلة والمستندات ويقافا عند الحق ، يحب أن تكون المحبة مع غيره ما أمكن ، معتدلا في شؤونه كلها ، متمسكا بمبادئه محافظا عليها عارفا ذلك منه كل من عاشره حق المعاشرة

﴿ مكتوباته رحمه الله ﴾

كتب في مواضيع عديدة كلها فوائد — منها ما حوته جريدته الحضارة التي أصدرها في الاستانة ثلاث سنين ، ومنها مقالات في التربية كان ينشرها في جريدة ثمرات الفنون ببيروت قبل اعلان الدستور ، ومنها ما نشرته المؤيد والمعلومات السريه والجريدة والمنير وخلافها من الجرائد المصرية والسورية . وكتب في مجلة المنار عدة مقالات . وله كتاب نظام الحب والبغض نشر منه في المنار عدة فصول ، وهو أكمل لمواضيع سياسية . ومنها رسالة في الفقه والتصوف وهي التي نوهنا بها قبلا وأخرى في الامامة . ورسالة ترجمة السيدة خديجة سلك فيها مسلكا غريبا لطيفا أبدع فيه كل الابداع وأتى بكل ما يستطاع من طالما حق المطالعة تقف على مقدرة

هذا الترجم والملاءة وسلامة ذهنه وسلاسة قلمه ودقة فكره ونزاهة سره ولا سيما الابحاث الاخيرة منها، وقد طبعت بمطبعة المنار وكانت نيته أن يجعلها الحلقة الاولى لسلسلة تاريخية فحالت دون ذلك أشغال قامت مانعا عن اخراج هذا الفكر الى حيز الوجود . ومنها رسالة في النحو وأخرى في المنطق وغيرها في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع وكتاب في الفقه بأسلوب قريب المأخذ سهل العبارة يدعم مسائله بالادلة الدامغة [1] وله محاضرات كان يلقيها في بيروت وحمص أيام ذهابه الى الآستانة وعودته منها

وله مكتوبات غير ما ذكر بقيت مسودة بخطه اغتالتها أيدي الاتراك عند ما أرسل من الاستانة الى (عاليه) مركز الديوان العرفي الذي أسسه جمال باشا المخذول

وله شعر لطيف في كل باب من أبواب الشعر ومقطعات ومساجلات مع بعض أصحابه ومراسلات كلها رقائق

من ألطف شعره القصيدة العصماء في موضوعها وحسن أسلوبها ودقة معناها وقد أثبتها برمتها ليقف المطالع لها على رسوخ قدمه رحمه الله تعالى وبعد أفكاره وحسن يقينه واعتقاده وهي هذه

لا تكذبنا يا بصر ... لا تخدعنا يا فكر
ان الحقائق تحت طي الـ ... ـستر فوق المنتظر
لكن برؤيتها دعاوي الـ ... ـحس تعيي من حصر
وسوى سراب لم يروا ... والآل كم غر النظر
أنى التصور يا حجا ... السر في هذي الصور
الكون مبني على الـ ... ـحركات كل في قدر
مجموع ذر يقتضي ... كل لها ضم الاخر
والارض تجمعنا فنحـ ... ـسب أنها احدى الكبر

---

(١) المنار : كان سبب تأليف هذا الكتاب محاورة طويلة دارت بيننا وبين الفقيد من جهة واحد فتحي باشا زغلول أيام كان وكيلا لوزارة الحقانية بمصر من جهة أخرى ولوم علي عبد الباسا لسعي الى طبعه على نفقة الحكومة لاجل المحاكم الشرعية

والشمس تعربنا لنا فنظنها المعنى الاغر
صور تغيّرُ لا تعي صفة لها غير الغير
ويجل مصدر أمرها عن أن نحيط به الفكر
هو مصدر بوجوده تقضي اشتقاقات الاثر
وتحيرت في ذاته وصفاته فطن غرر
والخبرة المثلى التبا عد عن دعاوٍ للخبر
كم مدعٍ لمعارف عليا عرف بالنكر
ما أنت يا انسان هل تدري دماغك لِمْ شعر
أفأنت تدرك من جمي ع الكون عنه قد ظهر
لِم ذي الدعاوي يافتى أأحاط منك به البصر
أأحاط منك به المجى خبرًا كما هو فاستبر
أعرفت من قبل المؤ ر كل تفصيل الاثر
أعرفت هذك الفضا ء وما به من كل ذر
دع عنك دعوى واستمع قولا مفيدا مختصر
الناس شرّ في الشرو ر ولاجؤن الى الشرر
ويرى بنو الانسان أن بهمو خلاصة ما فطر
دعوى بها يسلون ما يلقون من نصب وضر
فهمو رهان الكدح ما داموا وتلك هي السير
ذو الحال نائب من مضى والعمر جملته خبر
صيان ذي الانعام في حاج الحياة وذا البشر
فتسلّ فيما استطعت ان فكرت فيما قد حضر
واعبر على المقياس من ماض الى ما ينتظر
واعلم بأن المفلحي ن بذي الحياة أولوا العبر
والكون ظرف جواهر والسر فيه ما ظهر